

نرتنبا هو يَهْرُبُ مِنْ صَوَارِيخِ الْمُقَاوِمَةِ وَأَنْفَاقِهَا إِلَى التَّطَبُّعِ مَعَ أَسَدِ قَائِرِهِ
العَرَبِ الجُدِّدِ.. التَّحَدِّياتِ الحَقِيقِيَّةِ فِي الجَبَّاهَاتِ اللِّبْنَانِيَّةِ وَالسُّورِيَّةِ
وَقِطَاعِ غَزَّةِ..

ومُرور الطَّائِرَاتِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ فِي الأَجْوَاءِ العُمَانِيَّةِ وَالسُّودَانِيَّةِ وَالتَّشَادِيَّةِ إِذَا تَأَكَّدَ
خَطِيئَةُ كُبْرَى.. وَالهِدْيَةَ "الأعلى" لإيران ومِحْوَرِ المُقَاوِمَةِ.. وإلَيْكُمْ شَرَحْنَا
عبد الباري عطوان

القَاعِدَةُ الذَّهَبِيَّةُ الَّتِي بَرَّتْنَا نَحْفَظُهَا عَن طَاهِرِ قَلْبٍ وَمِنْ خِلَالِ تَطْبِيقَاتِهَا طَوَالَ السَّنَوَاتِ
الْمَاضِيَةِ أَنَّهُ كَلَّمَا وَاجَهَ بِنِيَامِينَ نَرْتِنْبَاهُو، رَئِيسَ الوُزَرَاءِ الإِسْرَائِيلِيِّ أَرْمَةً تُهَدِّدُ حُكُومَتَهُ
وَدَوْلَتَهُ، يَلْجَأُ إِلَى سِلَاحِ العِلاَقَاتِ العَامَّةِ الَّتِي يُجِيدُهَا، وَيَجِدُ طَوْقَ النِّجَاحِ فِي الحُكُومَاتِ
العَرَبِيَّةِ، وَ"إنجازات" التَّطَبُّعِ المَجَّانِي وَالْمُعِيبِ مَعَهَا.

نَرْتِنْبَاهُو يُوَجِّهُ حَالِيًّا تَحَدِّياتَ خَطِيرَةً فِي ثَلَاثِ جِبْهَاتٍ، الأُولَى جَنُوبَ لِبْنَانٍ، حَيْثُ تَتصَاعَدُ
قُوَّةُ حِزْبِ [] الصَّارُوخِيَّةِ وَخُبْرَاتِهِ فِي الحَرْبِ البَرِّيَّةِ، وَالثَّانِيَةِ فِي سُورِيَةِ فِي طَلَبِ تَنَامِيِ القُوَّةِ
الإِسْرَائِيلِيَّةِ، وَتَعَاوِيِ سُورِيَةِ وَجِيشِهَا، وَالثَّالِثَةِ فِي الضَّيْفَةِ العَرَبِيَّةِ حَيْثُ بَدَأَتِ المُقَاوِمَةُ
المُسلَّحَةَ تَتصَاعَدُ وَفِي قِطَاعِ غَزَّةِ، حَيْثُ تَعَرَّضَ لِهَزِيمَةٍ كُبْرَى اضْطُرَّ لِاسْتِجْدَاءِ وَقُفِّهِ لِإِطْلَاقِ
النَّارِ بَعْدَ 48 سَاعَةٍ، خَوْفًا مِنْ أَنْ تَصِلَ صَوَارِيخُ المُقَاوِمَةِ إِلَى قَلْبِ تَلِ أَبِيبِ وَحِيفَا، وَهِيَ
سَتَصِلُ حَتْمًا فِي الجَوْلَةِ القَادِمَةِ الوَشِيكَةِ.

وَبَدَلًا مِنْ مُوَجَّهَةٍ هَذِهِ التَّحَدِّياتِ، مُنْفَعَلَةٌ أَوْ مُجْتَمَعَةٌ، نَجِدُهُ يَهْرُبُ "جُبْنًا" مِنْهَا
إِلَى مَلِافِ التَّطَبُّعِ، وَالحَدِيثِ عَن إِنْجَازَاتِ وَاخْتِرَاقَاتِ لِتَحْوِيلِ الأَنْظَارِ، وَتَضْلِيلِ الرَّأْيِ العَامِ
الإِسْرَائِيلِيِّ، مِثْلَ الإِعْلَانِ عَن مُوَافَقَةِ سَلْطَنَةِ عُمَانَ السُّمَاحِ لِطَائِرَاتِ "العَالِ" الإِسْرَائِيلِيَّةِ بِعُجُوبِ
الأَجْوَاءِ العُمَانِيَّةِ فِي طَرِيقِهَا إِلَى الهِنْدِ، وَقَالَ فِي لِقَاءِ مَعَ سُفْرَاءِ إِسْرَائِيلِ فِي دَوْلِ آسِيَا وَأُورُوبَا
وَأَمْرِيكَا الشَّمَالِيَّةِ فِي مَقَرِّ وَزَارَةِ الخَارِجِيَّةِ اليَوْمِ، وَنَقَلَ حَرْفِيًّا، "وَافِقِ السُّلْطَانَ قَابُوسَ عَلى
السَّمَاحِ لِلطَّائِرَاتِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ التَّجَارِيَّةِ السَّفَرِ عِبْرَ الأَجْوَاءِ العُمَانِيَّةِ"، وَكَشَفَ فِي اللِّقَاءِ نَفْسَهُ

”أنّ شركات الطيران الإسرائيليّة ستتمكّن من التّحليق في أجواء السّودان في طَريقها إلى أمريكا الجنوبيّة، في إطار مَساعٍ لتحسين العلاقات مع الدول المُسلمة وعزّل إيران.“

وكان أخطَر ما ورد على لسان نيتنياهو في هذا اللقاء تأكّيدَه على تهميش القضية الفلسطينيّة كـ”لِإيّا”، وتجاوُزها للوصول إلى التّطبيع مع الدول العربيّة وقوله ”لن نترك السّلام مع العالم العربيّ رهينةً للسّلام مع الفلسطينيّين“، وكشف عَن تأكّيد زُعَماء عرب التّقاهاهم قولهم ”لدينا مصالح أمنيّة واقتصاديّة ونُريد أن نتمتّع بثمار التّقدّم، ومن الآن وصاعدًا لن نَمسحَ تطبيعنا مع دولة إسرائيل رهينةً بيد نزوات الفلسطينيّين“.

تحليق طائرات ”العال“ في الأجواء العُمانيّة لا يُمكن أن يتم إلا بعد التّوصّل إلى اتّفاقٍ مُماثلٍ مع المملكة العربيّة السعوديّة، واعترف نيتنياهو أن المُحادثات لم تُحقّق التّقدّم المطلوب حتّى الآن، ونأمل أن لا تكون هُنالك مُحادثات أصلاً حتّى تتقدّم، أمّا عبورها الأجواء السودانيّة فما زال ”لُغزًا“، لأنّه لم يصدُر أيّ نَفْيٍ أو تأكّيد سوداني حول هذه المسألة حتّى كتابَة هذه السّطور، ولكنّ الصّمت السّودانيّ الرّسميّ قد يكون دليل المُوافقة، أو هكذا نعتقد، فهُنالك لوبي سوداني يعتقد أنّ الخُروج من قائمة ”الإرهاب“ الأمريكيّة لا يُمكن أن يَمُرّ إلا عبر البوابة الإسرائيليّة باعتبارها الطّريق الأقصر، بعد فَشَل كُُل البوابات الأخرى مثل التّقارب مع السعوديّة على حساب تصعيد العداء مع إيران، ومُشاركة التحالف السّعوديّ الإماراتيّ في حرب اليمن، عبور الطائرات السّودانيّة لن يَحُل أزَمات السّودان الاقتصاديّة والأمنيّة، وإنّما الفِضاء على الفِساد والمُحسوبيّة، وغياب تداوُل السّلمطة والمُحاسبة.

أمرٌ مُؤسفٌ أن تقع حُكومات عربيّة في مِصيدة التطبيع التي نَمسحها نيتنياهو ومجانًا دون مُقابل، والتّخَلّص من قضية عربيّة وإسلاميّة عادِلَة وضرب عَرَض الحائِط بمُبادرة سلام عربيّة هي التي روّجت لها، وفرضتها على كُُل القِمم العربيّة مُنذ قمة بيروت عام 2002، فما هي الثّمارة الأمنيّة والتكنولوجيّة التي تَملُكها إسرائيل، ولا تَملُكها الولايات المتحدة وروسيا والصين حتّى تُهَرول هذه الحُكومات زاحفةً إلى تل أبيب، أو فارِشةً السجّاد الأحمر لنيتنياهو ووزرائه وفرّقهِ الرياضيّة في عواصمها؟

هذا التّطبيع مع نيتنياهو المُلَطّخة أياديه بدماء أطفال قِطاع غزّة، والمدنّيين السوريّين العزّل الذين استشهدوا بصواريخ طائراته، لن يحميهم من إيران ”الفرّاعة“، أو ”الطّعم“ الذي يَسْتخدِمها الإسرائيليّون و”حُلفاؤهم الأميركيّان لِبَثِّ الذُّعر والخوف في قُلُوبهم، بل ربّما يُعطي نتائج عكسيّة تمامًا، طالما أنّنا نتحدّث عَن حربٍ علاقات عامّة، فالشّعب الفلسطينيّ لن يَسْتسلم أوّلاً، ومعهُ مُعظَم الشُّعوب العربيّة، بما في ذلك الغالبية العظمى لدول الخليج التي تُعارض هذا التّطبيع وتُقاومه، وتعتبر إسرائيل عدوًّا أبديًّا للعرب

والمُسلمين.

التّطبيع العربيّ مع إسرائيل هو الهدية الأعلَى التي تُقدّمها الحكومات إلى إيران، ومحوّر المقاومة، خاصّةً في هذا الوقت الذي تعيش فيه هذه الدولة المارقّة حالةً من الارتباك والخوف غير مسبوق، وتراجع فيه قوّة الهيمنة الأمريكيّة في ظلّ صُعود قوَى عظمَى جديدة مثل الصين وروسيا وقريبًا الهند ودُوَل "البريكس" عُمومًا، وتعاظُم فصائح رئيسها دونالد ترامب.

هُرُوب نيتنياهو إلى التّطبيع مع دول عربيّة وخليجيّة لن يُحوّل الأنظار عن أزماته الداخليّة أو الخارجيّة، ولكنّه سيَنقل هذه الأزمات، بشكليّ أو بآخر، إلى أصدقائه العرب الجُدُد، خاصّةً في ظلّ الحراك الشعبيّ الذي يَجتاحُ العالم حاليًّا، وشاهدناه في أوضحِ صُورهِ في الأردن وفرنسا، ويعلّم أنّ أينَ سيَكون مَيدانُهُ المُقبِل، وهو تسونامي أتٍ لا مَحالة. نُبيّشُ المُطابِقين العرب بأنّ نيتنياهو صديقهم الجَدِيد الحَمِيم لن يُعمّر طويلاً في السُّلطة رُغمَ حركاته البهلوانيّة، ومحوّر المقاومة لن يستسلم، ومسرحيّة كشف أنفاق بطُول 40 مترًا تحت الحُدود اللبنانيّة "الإسرائيليّة" لن تَخدع أحدًا، فصواريخ المقاومة التي تَزدادُ دِقّةً وفاعليّةً ستَكون هي الرّاد الحاسم، وهي التي ستُدَمي أنفَ نيتنياهو، وكُلّ مَن يُراهنَ عليه.. طابِعوا كيفَما شئْتُم واستقبلوا الطائرات الإسرائيليّة بالغِناء والرّقص.. فهذه مَرحلةٌ قَصيرةٌ عابرةٌ.. والأيّام بيَدُننا.